# النشـــــــــــرة

تصـــدرها مطـــرانية الـــروم الأرثوذكـــس في بـــيروت

العدد ٤ / ٢٠٠١

الأحد ٢٨ كانون الثاني

تذكار أبينا البار أفرام السرياني

اللحن السابع

إنجيل السَحَر العاشر

الـرسـالـة (تيموثاوس ٤ : ٩ ١٥)

الإنـجـيـل (لوقا ١٩ : ١-١٠)

## + المعمودية والتوبة

«ولما سمع يسوع ان يوحنا أُسلم انصرف إلى الجليل وترك الناصرة... ومن ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات» (متى ٤: ١٢و١٧). ليس مصادفة أن يبدأ القديس يوحنا المعمدان أيضًا بشارته بالقول «توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات» (متى ٣: ٢). مهمة الصوت النبوي أن يدعوك دومًا إلى التوبة لتبقى مستحقًا أن تدخل الملكوت بعد أن فُتحت لك أبوابه يوم وقفت على عتباته بالمعمودية. التوبة هي التجديد اليومي لمعمودية كل واحد منا. نحن نؤمن بمعمودية واحدة لأن الإنسان لا

يستطيع أن يولد إلا مرة واحدة، وكما يأخذ الإنسان الدواء عندما يمرض، هكذا فإن التوبة هي الدواء الشافي للنفس عندما يُخطئ الإنسان بعد المعمودية.

عندما بدأ القديس يوحنا المعمدان يهيء الطريق لمجيء المسيح (متى ٣)، كان اليهود يخرجون إليه ليعتمدوا منه «**معترفين بخطاياهم**» (آية ٦)، وكان هو يوبخهم قائلاً: «يا أولاد الأفاعي، مَنْ أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي. **فاصنعوا أثمارًا** تليق **بالتوبة**، ولا تفتكروا أن تقولوا في أنفسكم لنا ابرهيم أبًا، لأني أقول لكم ان الله قادرٌ أن يقيم من هذه الحجارة أولادًا لإبرهيم» (آية ٧-٩). لقد كان اليهود يظنون انهم مخلّصون لمجرد كونهم من نسل ابرهيم. أما هو فكان يقول لهم ان ما سيخلّصهم هو معموديتهم أي رجوعهم بالتوبة بواسطة الأعمال الصالحة إلى الله. فالله قادر أن يصنع من الحجارة أبناءً لإبرهيم. ثم يتابع المعمدان قوله «والآن قد وُضعت الفأس على أصل الشجر، فكل شجرة لا تصنع ثمرًا جيدًا تُقطع وتُلقى في النار» (آية ١٠). كأننا به يقول ان الإنسان يُزرع في الملكوت شجرةً يوم معموديته، وإذا ما أنبت أعمالاً سيئة طوال حياته فسوف يكون مصيره في النار التي لا تُطفأ.

أنا أعمِّدكم بماء التوبة، ولكن الذي يأتي بعدي... سيعمِّدكم بالروح القدس والنار» (آية ١١). معمودية يسوع أعظم من معمودية يوحنا، لأن المعمودية باسم يسوع تفتح لنا أبواب الفردوس وتدخلنا إلى الملكوت. قال يوحنا ان يسوع «سيعمِّدكم بالروح القدس والنار»، الروح القدس رمز للنعمة والنار رمز للدينونة. لأن الموهبة، موهبة الروح القدس التي ننالها في المعمودية، تكون إما لخلاصنا أو لدينونتنا. فإذا ما ثمَّرنا هذه الموهبة وقمنا بالأعمال التي تليق بالتوبة نخلص وندخل الملكوت. وإذا ما بذَّرنا الموهبة، أو طمرناها نُدان ونلقى في الظلمة الخارجية حيث البكاء وصريف الأسنان.

عندما نعمَّد على اسم الآب والإبن والروح القدس نكون كالشجرة التي زرعت في الملكوت. فإذا حافظنا على هذه الشجرة ورويناها ينمّيها الرب وتثمر أثمارًا صالحة. أما إذا أهملناها تُثمر أثمارًا رديئة ويكون مصيرها النار. أثمارنا، أعمالنا، هي الدليل على صلاحنا أو فسادنا. هكذا قال الرب يسوع: «فإذًا من ثمارهم تعرفونهم» (متى٧: ٢٠). الرب في اليوم الأخير هو مثل الفلاح الذي «رفشه في يده وسينقي بيدره ويجمع قمحه (الإنسان الصالح) إلى المخزن، وأما التبن (الإنسان الفاسد بالخطيئة) فيحرقه بنار لا تُطفأ» (متى ٣: ١٢).

كلما تعمقنا أكثر في صورة الشجرة نجد تشابهًا أكبر بينها وبين الإنسان. في كل شجرة بعضُ الأغصان لا تثمر. هذه الأغصان التي يقطعها الفلاح في موسم التقليم على أمل أن ينبت مكانها أغصانًا أخرى تُثمر أثمارًا جيدة. والإنسان المسيحي المعمَّد، الذي قرّر أن يعيش حياة مسيحية فاضلة ويُثمر أثمارًا تليق بالتوبة، قد يرتكب بعض الأخطاء (يبذّر موهبته)

وقد لا يعمل الأعمال الصالحة (يطمر موهبته) بسبب «ان الروح نشيط وأما الجسد فضعيف» (متى ٢٦: ٤١). كلنا نخطئ أو لا نقدم على الأعمال الصالحة بسبب كسلنا وتهاوننا. وبما ان المعمودية لا تكرَّر كما الولادة، فقد وضع لنا الرب التوبة لنجدّد معموديتنا. التوبة عند الإنسان هي أن نقطع الخطيئة التي نرتكبها عن قصد أو عن غير قصد، من جذورها ــ أي أن نتوب ــ كما يقطع الفلاح الغصن الذي لا يُثمر، على أمل أن تُثمر الأعمال الحسنة ولا نعود إلى الخطيئة مرة أخرى.

قد يلاحظ الفلاح ان غصنًا أساسيًا في شجرته قد نخره السوس فيقطعه من أساسه، و«يطعِّم» الشجرة بغصن جديد يُعطي ثمارًا أفضل. هكذا على الإنسان المعمَّد الذي يلاحظ أن الخطيئة قد نخرت أحد حواسه أو أهواءه، أن يقتلع هذا الفساد و«يطعِّم» نفسه بتعاليم المسيح ويسهر على الغصن الجديد بالصلاة والصوم والمناولة المقدسة فيثمر أثمارًا جديدة. يُغيِّر هذا الإنسان مجرى حياته وتصرفاته، وهذا ما تعنيه التوبة، أن يغيِّر الإنسان ذهنه وتفكيره ويعود إلى طريق الرب التي سلكها في المعمودية ليُثمر أثمارًا تليق بالتوبة. هذا ما فعله زكا العشار الذي يحدّثنا عنه إنجيل هذا الأحد، عندما وعى خطيئته: «وقف زكا وقال للرب: ها أنا يا رب أعطي نصف أموالي للمساكين، وإن كنت وشيت بأحدٍ أردّ أربعة أضعاف. فقال له يسوع اليوم حصل خلاص لهذا البيت» (لو١٩: ٨و٩). تاب زكا فنال الخلاص.

معالجة الخطيئة التي فينا تتطلّب قرارًا جذريًا إذ ان خلاصنا لا يحتمل المساومة والمفاوضات والصفقات. القرار الجذري هو أن نتوب لأن «التوبة خلاصنا ونقص الفهم موت للتوبة» كما يقول القديس باسيليوس الكبير. كلنا نفعل ما فعله الإبن الشاطر، نخطئ إلى أبينا الشماوي، ولكن والد الإبن الشاطر لم ينسَ ابنه طيلة فترة غيابه وبقي منتظرًا عودته، ولما أطل من بعيد ركض نحوه وارتمى على عنقه وقبّله وألبسه حلة جديدة ووضع في يده خاتمًا جديدًا. عندما عُمدنا متنا وقمنا مع يسوع المسيح، صرنا أبناء لله بيسوع المسيح، وكما ان الوالد لا ينسى ابنه، هكذا الله لا ينسانا بل ينتظر خطوة صغيرة منا، أن نتوب، ليقوم هو بخطوات كثيرة ويحفظنا ويخلّصنا.

## + من أقوال إفاغريوس البنطي

+ عندما يضل الذهن تثبته القراءة والسهر والصلاة، وعندما تشتعل الشهوة يطفئها الجوع والتعب والاعتزال، وعندما يهيج الغضب يهدئه ترتيل المزامير وطول الأناة والرحمة. وهذه يجب أن تتم في الأوقات والمقادير المناسبة. فكل ما هو غير معتدل وخارج وقته قصير الأمد، وما هو قصير الأمد كثير الأذيّة وغير مفيد.

+ عندما تتوق نفسنا إلى أطعمةٍ مختلفة فلتقتصد في الخبز والماء حتى تصبح ممتنةً ولو بسبب مجرد كسرة. فالشبع يشتهي أطعمةً متنوعةً، أما الجوع فيعتبر شبع الخبز غبطة.

+ كما أنّه من غير الممكن أن تصيب الحياة والموت الإنسان نفسه معًا، هكذا فإنه من غير المعقول أن تتواجد المحبة مع الأموال لدى أحدهم، لأن المحبة لا تُبطل الأموال فحسب، بل حياتنا الوقتية نفسها أيضًا.

+ الهارب من اللذات الدنيوية كلها برج لا يدنو منه شيطان الحزن. فالحزن حرمان من لذة حاضرة أو متوقعة، ومن غير الممكن قهر هذا العدو إذا كان لنا تعلّق بشيء ما من الأرضيات، لأنه ينصب الفخ ويسبب الحزن حيث يرى أن ميلنا على أشدّه.

+ الكراهية تزيد قوة الغضب فينا، أما الشفقة والوداعة فينقصان حتى قوة الغضب الموجودة.

+ لا تغيبنّ الشمس على غضبكم لئلا ترعب الشياطين المتربضة في الليل النفس وتجعل الذهن أكثر جبنًا في جهاده في الغد. فالرؤى المخيفة تنشأ طبيعيًا من اضطراب قوة الغضب فينا، ولا شيء آخر كقوة الغضب المضطربة يدفع الذهن إلى الهرب من الجهاد.

+ عندما يضطرب الجزء الغضبي من النفس متخذًا ذريعة ما، توحي لنا الشياطين ان ابتعادنا عن الآخرين حسن، لئلا نحرِّر أنفسنا من الإضطراب عبر إنهاء أسباب الحزن. وعندما تحمى القوة الشهوانية تحاول الشياطين جعلنا محبين للبشر، داعية إيّانا قساة ومتوحشين، حتى إذا اشتهينا أجسادًا نلتقي بأجساد. فينبغي عدم إطاعة هذه الشياطين وصنع العكس.

+ لا تسلّم نفسك إلى فكر الغضب عبر محاربتك ذهنيًا من قد أحزنك، ولا إلى فكر الفسق من خلال تخيّل اللذة إلى أبعد حدود. فالحال الأولى تظلم النفس، أمّا الثانية فتدعوها إلى الاحتراق بالهوى، وكلاهما يدنس ذهنك، فعندما تتخيّل صوراً غير موجودة في وقت الصلاة، ولا تقدم الصلاة لله نقية، تصطدم سريعًا بشيطان الضجر الذي ينقض في الأكثر في حالات كهذه، ويمزق النفس كما يفعل كلب الظبي الصغير.

+ صعب الفرار من فكر المجد الباطل، لأن ما تفعله للإنتصار عليه، يصير لك مصدراً لمجد باطل آخر. ولا تقاوم الشياطين كل فكر مستقيم لدينا، بل إن بعض الأفكار تقاومها الشرور نفسها التي نعاني منها.

## <u>+ دستور الإيمان</u>

## <u>«... نزل من السماء...»</u>

«والكلمة صار جسدًا وحل بيننا ورأينا مجده مجدًا كما لوحيد من الآب مملوءًا نعمةً وحقًا... ومن ملئه نحن جميعًا أخذنا، ونعمة فوق نعمة، لأن الناموس بموسى أُعطي، أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا» (يو ١: ١٤–١٧).

تؤكد الكنيسة، عبر دستور الإيمان، على ان ابن الله الوحيد، المساوي للآب في الجوهر، تنازل وولد بالجسد البشري في هذا العالم من أجل خلاص العالم: «... الذي من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاصنا، نزل من السماء **وتجسد** من الروح القدس ومن مريم العذراء **وتأنس**». عبر تأكيدها على تجسد ابن الله تؤكد الكنيسة على محبة الله لخليقته، للبشر. «الله محبة» (١يو ٤: ٨)، وبسبب محبته الكاملة، لم يرد أن يبقى الإنسان بعيدًا، رغم ان الإنسان هو الذي ابتعد، فأرسل ابنه الوحيد ليصير بشرًا مثلنا لكي يخلّصنا. هذا ما وعته الكنيسة وتؤكد عليه في قانون الشكر (الكلام الجوهري) في كل قداس إلهي، «يا من أحببت عالمك بهذا المقدار، حتى انك بذلت ابنك الوحيد لكي لا يهلك من يؤمن به، بل يحصل على الحياة الأبدية».

المسيحية ديانة خلاص وليست مجرد مخطط لتحسين نمط الحياة أو مجموعة قوانين لنظام حياتنا وتصرفاتنا. المسيح نزل من السماء ليخلّص ما قد هلك. والحديث عن خلاص يفترض تخليص أحد يفنى أو يغرق أو تلتهم النيران منزله، تخليصه وتحريره من قيود. للأسف، لا يعي المسيحيون اليوم، المعنى الحقيقي لكلمة خلاص، لأنهم لا يعون انهم يفنون وان حياتهم سائرة نحو الدمار، يلتهمها الشر والخوف من الموت، وتصارع للبقاء عبر شهوة القوة والحروب والأكاذيب التي تسمم كل نبع للحياة. لقد حولت همومُ الحياة اليومية أنظارنا عن صراعنا الحقيقي، «مع أجناد الشر الروحية» (أفسس ٦: ١٢)، وعن وضعنا الحقيقي المزري، ولم يعد لدينا لحظة واحدة للعودة إلى ذواتنا والتفكير في خلاص أنفسنا.

لقد أتى المسيح «للجالسين في الظلمة وظلال الموت» (لوقا ١: ٧٩)، وقد يكون هذا أول تعريف إنجيلي لحال الإنسان. أتى المسيح لا ليخلّص من شيء، بل ليخلّص حياة الإنسان نفسها، التي تمزقت وابتعدت عن فحواها الأصلي، عن الله والنور والسماء والحق والأزلية. أتى ليخلّص الحياة التي صارت مهشمة ومرعبة ومشوهة ومحكومة بالدمار والفناء الروحي. هذا ما نعنيه عندما نقول «لأجلنا ولأجل خلاص العالم». لقد نزل ابن الله من السماء لأجلي ولأجلك ولأجل كل واحدٍ منا، لأجل خلاصنا. ففي كل مرة، نردد دستور الإيمان نؤكد على وعينا للدمار الحاصل داخلنا وعلى رجائنا بخلاص ابن الله.

«ونزل من السماء». هذه الكلمات لا تعني ان ابن الله يسوع كان في مكان **محدد** «فوق» في الكون، في السماء، ثم نزل إلى كوكب الأرض. العبارة «نزل من السماء» هي

تعبير كتابي، إنجيلي، للقول بأن الله أتى ليسكن الإنسان القديم الخاطئ ويجعله جديدًا. كذلك فإن تعبير «ونزل من السماء» لا يعني ان الإبن كان غائبًا عن العالم قبل التجسد. لقد كان دومًا في العالم والعالم كُوِّن به» (يو ١: ١٠).

«لأجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد». و«كل روح يعترف بيسوع المسيح انه قد جاء في الجسد فهو من الله. وكل روح لا يعترف بيسوع المسيح انه قد جاء في الجسد فليس من الله» (١ يو ٤: ٢و٣). تجسد المسيح لكي يخلّصنا من خطايانا ويُحيينا من جديد بالله: «بهذا أُظهرت محبة الله فينا، ان الله قد أرسل ابنه الوحيد إلى العالم لكي نحيا به. في هذا هي المحبة، ليس اننا نحن أحببنا الله، بل انه هو أحبنا وأرسل ابنه كفارة لخطايانا» (١يو ٤: ٩و١٠).

يقول الرسول بولس: لما حان «ملء الزمان أرسل الله ابنه مولودًا من امرأة، مولودًا تحت الناموس، ليفتدي الذين تحت الناموس لننال التبني» (غلا ٤: ٤و٥). أي عندما أصبح الوقت ملائمًا ولد ابنُ الله، كإنسان من العذراء، بقوة الروح القدس (متى ١ ولوقا ١). بعدما عانى الإنسان كثيرًا من سقوطه وابتعاده عن الله، وتاق إلى الخلاص، وبعدما هيأ اللهُ الشعب بالأنبياء ليقبل الخلاص، تجسد «الكلمة وصار جسدًا». ولادة يسوع العذرية تحقيق لنبوءة العهد القديم على لسان اشعياء النبي «هوذا العذراء تحبل وتلد ابنًا ويدعون اسمه عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا» (متى ١: ٢٣، اشعياء ٧: ١٤).

قد يسأل أحدهم: هل كان ضروريًا أن يتجسد ابن الله ليخلّص الإنسان؟ لقد وحد الرب يسوع في شخصه الله والإنسان. هذا التدبير الإلهي كان ضروريًا للخلاص إذ كيف للمسيح أن يقدّس البشرية وينقل لها اللاهوت لو كان إلهًا فقط؟ «فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو أيضًا كذلك فيهما لكي يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت أي إبليس... من ثم كان ينبغي أن يشبه إخوته في كل شيء لكي يكون رحيمًا ورئيس كهنة أمينًا في ما لله حتى يكفر خطايا الشعب» (عبر ٢: ١٤–١٧). هذا ما يشدِّد عليه الآباء بقولهم: «إن ما لم يُتخذ لم يشف». ولو كان المسيح إنسانًا فقط كيف جسرًا عليه تُنقل الإنسانية إلى الحياة الإلهية؟ المسيح يسوع المخلّص هو الوسيط بين الله والبشر (١ تيمو ٢: ٥) وبديهي أن هذه الوساطة لا يمكن أن تنجح إلا إذا كان قريبًا من الطرفين أو جامعًا في شخصه كلتا الطبيعتين الإلهية والبشرية.